الإمبراطور إسحق الثاني انجليوس وحملة الإمبراطور فردريك بربروسا في ضوء كتابات المؤرخ نيقتاس خونياتس

د منال محمد السيد
أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد
كلية الآداب – جامعة بني سويف

يعتبر الإمبراطور فردريك بربروسا Frederick Barbarossa (١١٥٢-١١٩٠م) من أقوى الشخصيات التي تول حكم ألمانيا، منذ أواخر القرن العاشر الميلادي، وأنه عمل على إحياء مجد الإمبراطورية الألمانية، وقد شارك كذلك في أحداث الشرق، فاشترك في الحملة الثانية عام (١١٤٧م/٥٤٤هـ)[١].

وقد لعب فردريك بربروسا دورًا كبيرًا في الشرق عندما اشترك في الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢م/٥٨٥-٥٨٨هـ) لاسترداد بيت المقدس من يد صلاح الدين الأيوبي. ومما لا شك فيه أن فردريك بربروسا استطاع بذكائه وبراعته وحنكته السياسية أن يتخطى كل الصعاب والمتاعب التي واجهته أثناء زحفه إلى بيت المقدس[٢].

وسوف تعتمد الدراسة في المقام الأول على ما ذكره المؤرخ البيزنطي نيقتاس خونياتس Niceias Choinates (١١٥٠-١٢١٥م) في حوليته Ocity of Byzantium عن حملة الإمبراطور فردريك بربروسا، وتعود أهمية كتابات خونياتس ليس فقط لكونه معاصرًا لهذه الأحداث، لكنه أيضًا شارك في أحداثها حيث كان حاكمًا لمدينة فيليوبولس Phippopolis وهي إحدى المدن البيزنطية الواقعة على طريق حملة فردريك بربروسا والتي استولى عليها عَنوة بجيوشه، على الرغم من أن خونياتس نفذ تعليمات الإمبراطور إسحق الثاني أنجليوس Isaakios Angelos (١١٧٥-١١٩٥م) في عدم السماح لفردريك بالعبور بأراضي الدولة البيزنطية[٣].

أما نيقتاس خونياتس فهو من أبناء مدينة خوناي Chonai ولد بها في أواسط القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري ولذلك اقترن اسمه بمسقط رأسه[٤].

لم يكن والد نيقتاس من الطبقة الارستقراطية أو طبقة النبلاء، بل كان من

الطبقة الأقل نبلاً، ولكنه كان له مكانة هامة في البلده الريفية خوناي، وكان قادرًا على تنشئة أبنائه وتعليمهم، ودفعه طموحه إلى أرسالهم إلى القسطنطينية.

فعندما بلغ نيقتاس تسع سنوات من عمره أرسله والده صحبة شقيقه الأكبر ميخائيل خونياتس Michael Choniates عام ١١٦٤م ليتولى مسؤولية تعليمه فكان ميخائيل بمسابة الأب والمربي والمعلم للصبي الصغير(٥)، وكان نيقتاس يتميز بالتدين والأخلاق الرفيعة، ثم تقلد نيقتاس بعض الوظائف داخل القصر الإمبراطوري وتزوج وهو في سن الثلاثين من عمره(٦).

ولكن بوصول الإمبراطور اندرونيقوس الأول Andronicus I للعرش (١١٨٣-١١٨٥م) انسحب نيقتاس من القصر الإمبراطوري في احتجاج ضد الظلم، واستمر بعيدًا عن القصر طيلة عصر اندرونيقوس الأول، ولكنه عاد مرة أخرى عام ١١٨٥م كسكرتير لإسحق الثاني انجليوس (١١٨٥-١١٩٥م)، ثم تولى حكم مدينة فيليوبوليس عام ١١٨٩م، وفي عام ١١٩٠م عُين مستشارًا للإمبراطور للشئون الخارجية إلى جانب حصوله على منصب قاضي ومشرف على أملاك الإمبراطورية ephoros(٧) مع استمراره حاكمًا لمدينة فيلوبولس.

ولكن نيقتاس فقد كل مناصبه في فبراير ١٢٠٤م على يد الإمبراطور الكسيوس الخامس دوقاس Alexios V Doukas وفقد كل ممتلكاته، واضطر إلى الفرار(٨) فوجد ملاذًا له عند إمبراطور نيقية Nicea ثيودور الأول لاسكاريس Thedore I Lascaris (١٢٠٤-١٢٢٢م) الذي استقبله في بلاطه بحفاوة بالغة، وأعاد له كافة الامتيازات التي كان ينعم بها من قبل، وبذلك أتيحت له كافة الامكانيات لكي يخصص أواخر أيام حياته لأعماله الأدبية المتميزة وإنهاء مصنفه التاريخي الضخم حتى توفى عام ١٢١٥م في سن الستين في نيقيه(٩).

وقد أعطانا خونياتس وصفًا حيًا لسياسة الإمبراطور إسحق الثاني وموقفه

المتغير والمضطرب من حملة فردريك بربروسا، والتي استهدفت عرقلة وفشل جيش فردريك حتى لا يتسنى له عبور أراضي الدولة البيزنطية والوصول إلى بيت المقدس بهذا لجيش الضخم المصاحب له.

كما وصف نيقتاس خونياتس المعارك والمناوشات التي دارت بين الإمبراطور البيزنطي وفردريك بربروسا، والتي انتهت بانتصار فردريك بربروسا، واستطاع أن يجبره بقوته وذكائه وحنكته السياسية على تغيير سياسته تجاهه، وإمداده بما يحتاج إليه جيشه من مؤن وعداد وعلوفات وأن يعبر أراضي الدولة البيزنطية في اتجاه آسيا الصغرى.

كما تحدث خونياتس عن سياسة الإمبراطور إسحق الثاني تجاه المسلمين خاصة السلطان صلاح الدين الأيوبي، وكذلك سلاجقة الروم في آسيا الصغرى في ذلك الحين، وكيف حاول إفشاء أسرار حملة فردريك لصلاح الدين حتى يأخذ حذره منه، ويستعد لكفاحه حتى لا تكلل هذه الحملة بالنجاح(١٠).

وقد أنهى خونياتس حديثه عن حملة فردريك بربروسا بخبر وفاة فردريك المفاجئة، والذي كان صدمة كبيرة للصليبيين في بلاد الشام، وفرحة عظيمة للمسلمين.

ومن الملاحظات المهمة أن المؤرخ نيقتاس خونياتس التزم الموضوعية في كثير من كتاباته، فبالنسبة لحديثه عن فردريك بربروسا لم يكن ظالمًا له على الرغم من أنه يعتبر أكبر أعداء الدولة البيزنطية في ذلك الوقت، وقد أذاق البيزنطيين مرارة الهزيمة وأجبر الإمبراطور البيزنطي على الرضوخ لمطالبه، فعلى الرغم من كل ذلك أنصفه بعد أن علم بوفاته المفاجئة في أراضي مملكة أرمينية، وقال عنه ناعيًا : " كان رجلاً يستحق أن يتمتع بذاكرة قادرة ودائمة، فهو مثال للرسول بولس، لم يحسب حياته عزيزة على نفسه بل تقدم إلى الأمام حتى الموت

من أجل اسم المسيح، وهكذا كانت حماسته رسولية، وكان عرضه لأجل الله وإنجازه يتجاوز الكمال "[١١].

اشتراك فردريك بربروسا في الحملة الصليبية الثالثة والأسباب التي دفعته إلى ذلك:

بعد انتصار صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين في معركة حطين (٥٨٣هـ/١١٨٧م) وما تلاها من انتصارات حتى استعادت بيت المقدس من الصليبيين وما تبع ذلك من الاستيلاء على المدن والقلاع الصليبية، أسرعت رسل الصليبيين إلى غرب أوروبا لتخبر نبأ الكارثة التي حلت بهم على يد صلاح الدين[١٢].

ولما علم البابا أوربان الثالث Urban III (١١٨٠-١١٨٧م) بهذه الأخبار لم يتحمل الصدمة وكان مريضًا، فمات في أكتوبر ١١٨٧م. وتولى بعده البابا جريجوري الثامن Gregory VIII عام ١١٨٧م فأرسل إلى حكام الغرب الأوروبي يدعوهم إلى بذل كل الجهود لمساعدة الممالك الصليبية، والدعوة إلى فرض هدنة داخل أوروبا لمدة سبع سنوات، ووعد الكثير بغفران الذنوب، ولكن شاء القدر أن البابا جريجوري لم يعش كثيرًا، فقد توفى بعد شهرين تاركًا أمر الحملة للبابا كلمنت الثالث Clement III (١١٨٧-١١٩١م) الذي قام بإرسال مبعوثيه للدعوة الحملة في كل ربوع أوروبا، وقد بذل جهودًا كبيرة أدت إلى خروج الحملة المعروفة بالحملة الصليبية الثالثة[١٣].

وكان الإمبراطور فردريك بربروسا من بين الأباطرة والحكام الذين اتصل بهم البابا كلمنت الثالث يدعوه للاشتراك في الحملة المنشودة وقد سارع فردريك بربروسا بالاشتراك في الحملة الصليبية الثالثة، بالرغم من أنه لم يتلق دعوة مباشرة من صليبي الشام للقدوم إلى الشرق، ولم يكن للألمان بالشام سوى جالية قليلة

العدد(١٤).

أما عن الأسباب التي دفعت فردريك بربروسا للمشاركة في هذه الحملة فهي على النحو التالي:

أولاً: إحساسه بضرورة نجدة قريبه كونراد مونتفرات Conrod of Montferrat الذي تولى زعامة الصليبيين بمدينة صور(١٥).

ثانيًا : كان لزواج ابنه هنري السادس من الأميرة كونستانس ابنة وليم الثاني النورماني ملك صقلية الوريثة الشرعية لمملكة النورمان صقلية، وما حدث من رباط جديد بنورمان الجنوب، وما للنورمان من يد كبيرة في الحروب الصليبية، أدى إلى تهيئة الجو للمشاركة في الحروب الصليبية(١٦).

ثالثًا : ما لحق بفردريك بربروسا وبعمه كونراد الثالث، ومن معهما من ملوك وأمراء الغرب الأوربي من فشل أثناء الحملة الصليبية الثانية عام (١١٤٨م٥٤٢هـ) دفعه إلى الاشتراك في الحملة الصليبية الثالثة، عسى أن يحقق نصرًا يمحو به ذلك الفشل(١٧).

رابعًا : رغبة الإمبراطور فردريك بربروسا في أن يحقق عملاً دينيًا يتقرب به إلى الله وذلك مثل رفاقه حيث كانت تدفعهم هذه الرغبة، فقد كان فردريك بربروسا شديد التدين محبًا للمسيح، فقد وصفه نيقتاس خونياتس بأنه " كان من أولئك الذين يوجهون أرواحهم صوب الحياة الآخرة كما ورد بالأناجيل ويسعون بجد لإدراكها متجاهلين الاهتمام بالحياة الدنيا كما يرفضونها أشد الرفض "(١٨).

وقد أشترك فردريك بربروسا في هذه الحملة كلاً من ملك فرنسا فيليب أوغسطس Philis Augustus (١١٨٠-١١٢٣م)، وملك إنجلترا ريتشارد قلب الأسد Richard Coeur – de – Lion (١١٨٩-١١٩٩) اللذان فضلا أن

يتخذا الطريق البحري، بينما فضل فردريك أن يتخذ الطريق البري الذي طرقه أثناء الحملة الصليبية الثانية(١٩).

ومن الملاحظ أنه على الرغم من أن الإمبراطور كان شـــيخًا كبيرًا، إلا أنه كان أســرع في العمل من ملكي فرنســا وإنجلترا، فخرج فردريك في مايو ١١٨٩م إلى بلاد الشـــام على رأس جيش كبير بلغ نحو مائة ألف محارب، وســـار في الطريق البري عبر المجر متجهًا صـوب القسـطنطينية(٢٠) في عده عظيمة – قيل : مئتان ألفا – يريد البلاد الإسلامية على حد قول المؤرخين(٢١).

وزيادة في الحيطة وتأمين خط سـير حملته، أرسـل فردريك الأول إلى حكام البلاد التي ســـيمر بها جيشـــه، يخبرهم بذلك حتى يتخذوا من التدابير بما يكفل تأمين جيشه وإمداده بالمؤن والمعدات اللازمة، فأرسل إلى ملك المجر بيلا الثالث Bela III وإلى الإمبراطور البيزنطي إسحق إنجيلوس، وإلى سلطان سلاجقة الروم قلج أرسلان(٢٢).

وقد تلقى فردريك بربروســـا ردًا طيبًا من كل من ملك المجر بيلا الثالث وسلطان سلاجقة الروم قلج أرسلان، كما دارات المشاورات بين مبعوثي الإمبراطور فردريك بربروسا وساسة الدولة البيزنطية حول مسألة عبور جيش فردريك لأراضي الدولة البيزنطية وقد أشـــار خونياتس إلى تلك المشـــاورات بقوله : " لقد أرســـل الإمبراطور فردريك بربروسا من جانبه مبعوثين عام ١١٨٨م إلى الإمبراطور وذلك حتى يمر بجيشه داخل أراضي الإمبراطورية البيزنطية دون أن يقوموا بأي أضرار تمس الأراضـي البيزنطية من نهب وسلب وقتل وسوف يحترموا سكان كل المدن والحصون والقرى البيزنطية، مقابل أن يأمر الإمبراطور إسحق الثاني بإمداد جيش فردريك بربروســـا بكل ما يحتاجه من مؤن وعلوفات، حتى يســـتطيع فردريك أن يواجه أي مشـــكلة خاصـــة بإطعام الرجال والخيول، وقد انتهت هذه المشـــاورات

بتنظيم مسألة عبور الجيش الألماني داخل أراضي الإمبراطورية البيزنطية وإمداده بالمؤن والعلوف(٢٣).

وقبل أن نستطرد في الحديث عن موقف الإمبراطور إسحق الثاني من حملة الإمبراطور فردريك بربروسا، لابد من تحليل شخصية الإمبراطور إسحق الثاني وسياسته تجاه مختلف القوى المعاصرة له في الداخل والخارج وذلك في ضوء ما ذكره المؤرخ نيقتاس خونياتس وبعض مؤرخي الدولة البيزنطية حتى يتضح لنا حقيقة موقفه من حملة فردريك بربروسا.

من المعروف أن إسحق الثاني وصل إلى العرش بعدما أطاح بالإمبراطور أندرونيقوس، ولم يختلف إسحق عن سابقه فكلاهما كان لاهيًا ماجنًا اهتم بحياته الخاصة ومتعه الشخصية عن الاهتمام بشئون الإمبراطورية وإصلاح أحوالها(٢٤).

لذلك أرخى العنان لأتباعه وأطلق يدهم في شئون الإمبراطورية، دون مراقبة منه أو الاهتمام بما يجرى لذا كان طبيعيًا أن تظهر مفاسد الجهاز الإداري، الذي وصل إلى درجة الحضيض، وأصبح من الطبيعي أن يتحدث الناس عن الموظفين الفاسدين في أنحاء الإمبراطورية، وأن تدور في المجالس أخبار الرشاوي، وبيع الوظائف، حتى كانت العبارة الشائعة على ألسنة الناس " إن الإمبراطور إسحق الثاني باع وظائف الدولة كما تباع الخضار في السوق " وبلغ من حب هذا الإمبراطور للمال واستهتاره بحقوق رعاياه أأنه جنى من المقاطعات ضريبة خاصة لتغطية نفقات زواجه الذي احتفل به بأبهة عظيمة(٢٥).

ونظرًا لحاجة الإمبراطور إسحق إلى الأموال، عمل على زيادة الضرائب فضج الأهالي وقامت ثورة في البلاد من الفلاحين والغوغاء بزعامة القائد براناس

.Branas

وقد اعطانا خونياتس وصـــفًا دقيقًا لما حدث في هذه الثورات حيث قال : " حدث شـــيء غير متوقع وذلك عندما أمر الإمبراطور المواطنين والأجانب بأن يسيئوا معاملة الفلاحين الذين يعيشون بالقرب من المدينة، كما ألقيت النيران على بيوت هؤلاء التعساء الأمر الذي ادى إلى إحراق وتدمير كل مبنى سواء كان معبدًا مقدسًـا أو ديرًا مقدسًـا أو مسـكنًا خاصًـا، ولأن هذه الكارثة لم تكن متوقعة على الإطلاق، فقد انتشر الحريق في المباني وغطا السماء من شدته، الأمر الذي أدى إلى ازياد غضـب الغوغاء والفلاحين فاندفعوا بتدهور نحو رجال الإمبراطور الذين أشـعلوا هذه النيران، ووضـعوا أوتاد كبير في كل الشـوارع المؤدية باتجاههم، كما حاول الغوغاء قلب المتاريس بعد أن شـربوا الخمر وقاتلوا بدون درع أو سـلاح رجال الإمبراطور المسـلحين، الأمر الذي أدى إلى قتل وجرح العديد من هؤلاء الغوغاء والفلاحين وأيقنوا أنهم لا قبل لهم بقتال رجال الإمبراطور، وبدأوا في الإنسـحاب، الأمر الذي جعل القائد براناس يصـرخ بأعلى صـوته لكي يثبتوا في أماكنهم ويقاتلون معه رجال الإمبراطور ولكن دون جدوى، وانتهى الأمر بقتل براناس وفشـل الثورة وأعقب ذلك موجة من الاضـطهاد نزلت بأنصـار القائد المهزوم(٢٦).

الأمر الذي أدى ألى انتشـار الفقر والفوضـى في كل مكان، وزادت أعباء الضـرائب، واضـطربت التجارة، وأفلسـت الخزانة العامة، كما عم الانحلال الخلقي أهالي الإمبراطورية بما في ذلك رجال الدين، حيث خرج الرهبان عن القوانين الديرية، وزادوا من حدة الفوضى والاضطراب في الداخل(٢٧).

أما في الخارج فيمكن القول أن فترة حكم الإمبراطور إسـحق الثاني كانت سلسـلة من الكوارث على بيزنطة أدت إلى زيادت ضـعفها، بل بدأت أملاكها في

الانسلاخ عنها، وبدأت نزعة انفصالية تميز اتجاهات القائمين على أملاكها، كان لها نتائج بالغة الأهمية دون جدال(٢٨).

فنجد إسحق كومنين حاكم جزيرة قبرص يعلن استقلاله بالجزيرة التي ظلت لفترة طويلة تابعة لحكم بيزنطة(٢٩).

كما عانت الإمبراطورية البيزنطية من حركة استقلالية أخرى في شبه جزيرة البلقان من قبل الدولة البلقانية التابعة لها مثل بلغاريا وصربيا اللتين أعلنتا استقلالهما عن أي تبعية لبيزنطة سواء كانت تبعية اسمية أو فعلية، وكان الإمبراطور فردريك بربروسا يشجع البلغار على الخروج من طاعة البيزنطيين والاستقلال عنها وبناء دولة لهم في البلقان، كما استقل الصرب وأسسوا لهم دولة هناك، في الوقت الذي لم يكن بوسع بيزنطة أن ترسل الجيوش إلى بلغاريا وصربيا أو تجند الجند أو تحاول استعادة نفوذها في تلك الدويلات(٣٠).

كما كان على الإمبراطور إسحق الثاني مواجهة الخطر المتمثل في نورمان صقلية، ففي عام ١١٨٥م تقدم جيش وأسطول النورمان نحو العاصمة القسطنطينية، وفرح النورمان بما حققوه من انتصارات، فقاموا بنهب وسلب الأقاليم القريبة من القسطنطينية دون أن يعملوا حسابًا للجيش البيزنطي، الأمر الذي جعل البيزنطيين يدافعون عن أراضيهم، فتصدوا للنورمان واستطاعوا هزيمتهم، فانسحب الأسطول النورماني من أمام القسطنطينية، وتم عقد صلح بين إسحق الثاني ووليم الثاني النورماني، وضعت نهاية لهذه الحرب(٣١).

وقد ذكر نيقتاس خونياتس هذه الأحداث على النحو التالي : " لم يكن الصقليين يعلمون بعزل الإمبراطور أندرنيقوس، وأبحر أسطولهم إلى العاصمة القسطنطينية، فخرج الجيش البيزنطي، واندفعوا بقوة وحماسة كبيرة لمحاربة الصقليين، كما أن سكان المدينة القريبة جاءوا ليشاركوا في الحرب ضد الصقليين،

فرحب بهم القائد البيزنطي، ووزع عليهم الأسلحة والهدايا، فاشترك الجميع في الدفاع عن العاصمة غير عابئين بالموت، وعندما أوشك الصقليين على الهزيمة أرسلوا إلى القائد البيزنطي براناس للتفاوض معه، ولكن القائد براناس اعتبر ذلك مجرد حيلة من الصقليين لكسب الوقت، واستمرت القوات البيزنطية في القتال، وأسروا وقتلوا أعدادًا كبيرة من الصقليين حتى امتلأت النواحي بجثث القتلى الصقليين، حيث أقبلت عليها الكلاب تنهشها بضراوة، وكلما اقتربت سفن الأسطول الصقلي من اليابس، انهمر عليها سيل من الصواريخ من كل حدب وصوب، بالرغم من أن عدد سفن الصقليين كانت كثيرة العدد تفوق عدد سفن الأسطول البيزنطي التي تتعدى مائة سفينة بيزنطية، إلا أن البيزنطيين دفعوا بشدة عن مدينتهم وقاوموا الصقليين ومنعوهم من الدخول، واستمر القتال بين الطرفين الصقيلي والبيزنطي لمدة سبعة عشر يومًا، وبعدها أيقن الصقليين أنهم لا يستطيعون هزيمة البيزنطيين، فأرسلوا المبعوثين إلى الإمبراطور إسحق الثاني في طلب الصلح، فما كان من إسحق إلا أن عامل المبعوثين الصقليين معاملة سيئة حيث تكبر عليهم وأهانهم، ولم يقدم لهم أي هدايا وهددهم بهلاكهم للأبد، إذا لم يعودوا من حيث اتوا(٣٢).

وهكذا انتهت حملة صقلية على مدينة القسطنطينية بالفشل وعاد الأسطول الصقلي من حيث أتى بعد أن عقد الصلح مع إسحق الثاني.

كذلك كان من سوء حظ الدولة البيزنطية عصر إسحق الثاني أن تأتي الحملة الصليبية الثالثة لاسترداد بيت المقدس، وبالرغم من توقيع إسحق الثاني اتفاقية مع الإمبراطور فردريك بربروسا والتي سبق ذكرها، إلا أن كل من إسحق وفردريك كان يخشى نوايا الآخر، من أجل ذلك أرسل إسحق إلى صلاح الدين الأيوبي للتفاوض معه ومحالفته ضد فردريك بربروسا، والصليبيين، وهو التحالف

الذي تم عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م(٣٣).

من الجدير بالذكر أن هذا التحالف أدى إلى إثارة الغرب الأوربي وزعمائه ضد الإمبراطور إسحق(٣٤).

وقد أشارت المصادر إلى هذا التحالف، حيث ذكرت المصادر الإسلامية أن الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني كتب إلى صلاح الدين وراسله أكثر من مرة بشأن حملة فردريك بربروسا " وكان بين السلطان وبين ملك قسطنطينية مراسلة ومكاتبة"(٣٥)، حيث " وصل من ملك قسطنطينية كتابًا يتضمن استعطاف واستسعافًا وكان وصل منه رسول إلى الباب الكريم والسلطان بمرج عيون سنة خمس وثمانين من رجب في جواب رسول كان أنفذه السلطان بعد تقرير القواعد، وإقامة قانون الخطبة في جامع القسطنطينية "(٣٦).

فما كان من صلاح الدين الأيوبي إلا أن تعهد لإسحق الثاني مقابل هذا بأن يوضع الأماكن المقدسة المسيحية في بلاد الشام تحت رعاية رجال الدين الأرثوذكس(٣٧).

يضاف إلى ذلك أن إسحق الثاني عندما فشل في عرقلة حملة فردريك، وأجبر على توقيع الاتفاقية السابق ذكرها والتي بمقتضاها قدم لفردريك كل التسهيلات التي تمكنه من العبور إلى الشرق، لذلك سارع بالكتابة إلى صلاح الدين يعتذر له عن عبور فردريك بربروسا، ويشرح له أنه أجبر على ذلك(٣٨). كما وصف له مدى الضعف والتدهور والمرض الذي أصاب الجيش الألماني، وأنه عندما يصل إلى بلاد الشام لا يمثل أي خطر على المسلمين، وقد عبر عن ذلك المؤرخين المسلمين " أن فردريك لا يصل إلى بلاد ثم فينفع نفسه أو ينفع، ويكون

مصرعه هناك ولا يرجع"(٣٩).

إلا أن فردريك بربروسا استطاع أن يعبر بلاد المجر دون أن يصادف أي متاعب أو عقبات(٤٠). وما أن اقترب جيش فردريك بربروسا من أراضي الإمبراطورية البيزنطية حتى واجهوا عداءً شديدًا من الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني(٤١).

ولكن ما هي أسباب عداء إسحق إنجيلوس للإمبراطور فردريك بربروسا والتي جعلته يعمل على إخفاق حملته وعدم تمكينه من الوصول إلى بيت المقدس ؟

يرجع موقف الإمبراطور إسحق هذا إلى عدة أسباب، وهي :

السبب الأول : تخوف إسحق من التحالف الذي تم بين الإمبراطور فردريك بربروسا، وسلطان سلاجقة الروم قلج أرسلان، فقد تعهد قلج أرسلان بعبور جيش فردريك بربروسا وإمداده بكل ما يلزمه من مؤن وعلوف للجياد. والمعروف أن إسحق كان يكره السلطان قلج أرسلان باعتباره العدو الأول للإمبراطور إسحق لأنه هدد القسطنطينية تهديدًا مباشرًا(٤٢).

السبب الثاني: تخوف إسحق الثاني من تلك الزيجة التي تمت بين الإمبراطور الألماني والنورمان، وذلك أنه تم الاتفاق في عام (٥٨٠هـ/١١٨٤م) بين كل من الإمبراطور فردريك بربروسا وبين وليم الثاني النورماني ملك صقلية (١١٦٦-١١٨٩م) على زواج ابن الأول هنري السادس وخليفته في حكم الإمبراطورية الرومانية المقدسة من الأميرة كونستانس ابنة وليم الثاني والوريثة الشرعية لمملكة صقلية. وما تبع هذه الزيجة من اتفاق بين الإمبراطور فردريك من جهة وبين وليم الثاني أعداء الإمبراطورية البيزنطية التقليديين منذ زمن بعيد،

خاصـــة وأن وليم الثاني ملك صـــقلية وجه إلى القســـطنطينية حملة نورمانية عام ١١٨٥م، يقصـــد الاســـتيلاء عليها من يد إســـحق الثاني، مما زد ســـخط وكراهية إسحق الثاني للنورمان ومن يتحالف معهم(٤٣).

السـبب الثالث : إن الفرسـان الألمان أثاروا بدورهم كره السـكان المحليين بما اقترفوه من أعمـال الســـرقـة والنهـب والعنف، ففي تراقيـا أحرق الجيش الألمـاني ضواحي فيليوبولس، ثم احتلوها في أواخر أغسطس ١١٨٩.

لكل هذه الأسباب انتهجت الإمبراطورية البيزنطية نهجًا معاديًا لحملة فردريك بربروسا(٤٤).

وقد وصـــف المؤرخ البيزنطي نيقتاس خونياتس، الســـياســـة التي اتبعها الإمبراطور إســـحق الثاني عندما علم بوصـــول الإمبراطور فردريك إلى حدود الإمبراطورية البيزنطية عام ١١٨٩م على النحو التالي.

وما أن وصـــل فردريك بربروســـا إلى حدود الإمبراطورية البيزنطية عام ١١٨٩م حتى أرســـل إلى الإمبراطور البيزنطي مبعوثين بالخطابات ليعلموه بقدوم الإمبراطور، ولتســـهيل مروره داخل الإمبراطورية الرومانية، إلا أن بعض الأمراء المحيطين بالإمبراطور إسحق أوغروا صدره ضد فردريك بربروسا(٤٥).

فأصـــدر إســـحق تعليماته لحاكم مدينة فيليوبولس، وكان وقتذاك المؤرخ البيزنطي نيقتاس خونياتس الذي عبر عن ذلك بقوله " وتعرضـنا نحن الذين نكتب هذه الأشـياء إلى الكثير من المتاعب، لأنه وقتها كنا محاصـرين بمسـألتين حكم مقاطعة فيليبوبولس وجمع الضـرائب بضـرورة إعادة بناء الاستحكامات والحصـون في المدينة حتى لا يتمكن فردريك بربروسا من دخول المدينة، ولكن ما أن أوشكت بناء هذه الحصـون على الانتهاء، أصـدر الإمبراطور البيزنطي إسـحق أوامره بهدم

هذه الاستحكامات والحصون حتى لا يجد الإمبراطور فردريك مكانًا يلجأ فيه(٤٦).

وهذا الأمر إن دل على شيء يدل على ما كانت تمر به السلطات البيزنطية من موقف حرج للغاية، حيث اضطربت الأمور بها، وتناقضت قرارتها وتعليماتها وموقفها من الجيش الألماني وقائده فردريك بربروسا(٤٧).

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إن الإمبراطور إسحق منع رسل فردريك بربروسا من العودة إليه وقام باعتقالهم ومعاملتهم معاملة سيئة مثل الخدم والعبيد، كما أصدر أوامره بقطع الأشجار الضخمة ووضعها في الممرات والطرق والمسالك لتسدها وتشل تحركات الجيش الألماني، يضاف إلى ذلك أن الإمبراطور إسحق الثاني أمر فرقة من الجيش بزعامة ابن عمه مانويل كامتيزس بتتبع الجيش الألماني ومهاجمتهم خلسة وخطفهم وهم يجمعون العلوف ويبحثون عن الطعام والشراب(٤٨).

وبالرغم من كل العقبات التي وضعها الإمبراطور إسحق أمام جيش فردريك بربروسا، لم يقت هذا من عضد الإمبراطور فردريك أو ينقص من حماسته وحماس جيشه، فتابع زحفه حتى وصل إلى مدينة فيليوبولس في أغسطس عام ١١٨٩م، واستطاع أن يقيم معسكرًا قويًا واحتل المدينة دون مقاومة(٤٩).

وقد ذكر المؤرخ خونياتس أن الإمبراطور فردريك بربروسا عندما دخل المدينة وجدها خالية من معظم سكانها، الذين هربوا خوفًا من مواجهة الإمبراطور فردريك(٥٠).

ومن الجدير بالذكر أن الأرمن الموجودين بالمدينة قاموا بدور كبير في مساعدة فردريك بربروسا في الاستيلاء على المدينة، وأمدوه بكل ما يحتاج إليه

من مؤن وعتاد، كما دلوه على أسهل الطرق والمسالك(٥١).

ولكن ما الذي دفع الأرمن في مدينة فيليوبولس من مساعدة فردريك بربروسا ؟

يرجع السبب في تصرف الأرمن تجاه فردريك بهذه الصورة وما قدموه له من مساعدات إلى كراهية الأرمن الشديدة للحكم البيزنطي، وذلك لسياسته العدائية ضد العنصـــر الأرمني، نتيجة للخلاف المذهبي بينهم، حيث اعتبر البيزنطيين الأرمن هراطقة(٥٢).

من الثابت تاريخيًا أن العلاقة بين الأرمن والبيزنطيين كانت تتســـم بالعداء والكراهية من زمن بعيد، ففي عام ١٠٧٤م ذهب الأســـقف الأرمني جريجوري Gregoire إلى القسطنطينية ومنها توجه إلى روما، حيث التقى بالبابا جريجوري الســابع (١٠٧٣-١٠٨٥م) Gregoire VII أملاً في الحصـــول على مســاعدة ومســاندة الغرب الأوربي للاســتقلال التام عن البيزنطيين والأتراك الســلاجقة، ولم يكتف الأســـقف الأرمني بذلك، بل رحل من روما إلى القاهرة لزيارة أديرة الروم الأرثوذكس، واســتقبل أثناء تلك الزيارة من قبل الخليفة الفاطمي المســتنصــر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٦-١٠٩٤م) اســـتقبالاً حافلاً، فاق اســـتقبال الإمبراطور البيزنطي له(٥٣).

هكذا قام الأســـقف الأرمني جريجوري بدور كبير في إثارة الغرب الأوربي للقيام بحرب صليبية، هادفًا من ذلك رفع راية الاستقلال الأرمينية بعيدًا عن سيادة كل من البيزنطيين والأتراك الســلاجقة، لذلك كان الهدف الرئيســي من تلك الرحلة السياسية أن ينجح في إثارة أعداء الأتراك السلاجقة ألا وهم الإمبراطور البيزنطي، وبابا روما الزعيم الروحي للغرب الأوربي، والخليفة الفاطمي – الذي كان أكثر من الأرمن في مصر – ألد أعداء كل من الأتراك السلاجقة والخلافة العباسية السُنية

آن ذاك، لذلك عندما جاءت الحملة الصليبية الأولى إلى بلاد الشام ١٠٩٧م، لعب الأرمن دورًا كبيرًا في مساعدة هذه الحملة، حيث قدم زعماء الأرمن المسيطرون على جبال طوروس كافة المساعدات للصليبيين وخاصة أثناء محاصرة مدينة أنطاكية، عندما تعرض الصليبيين للمجاعة الطاحنة التي كادت تفتك بالصليبيين، حيث أسرعوا بإرسال المؤن الكافية للقادة الصليبيين لمواجهة هذه المجاعة(٥٤).

والحقيقة أن الأرمن قاموا بنفس الدور في الحملة الصليبية الثالثة، حيث قدموا لفردريك بربروسا ما يحتاج إليه جيشه من مؤن وعلوفات للجياد ودلوهم على أيسر وأسهل الطرق من أجل نجاح حملته ووصولها لبيت المقدس(٥٥).

والحقيقة أن الأرمن هدفوا من تلك المساعدة الفعالة للجيوش الصليبية التخلص من سيادة كلاً من الأتراك السلاجقة، والبيزنطيين الذين اعتبروا الأرمن هراطقة، فقد أراد الأرمن الفوز بالاستقلال الذاتي الذي سيتحقق من جهة نظرهم بفضل مناصرة الصليبيين لهم، إلا أنهم سيصابون بخيبة أمل كبرى كما سيتضح في الصفحات التالية(٥٦).

وبالرغم من نجاح فردريك بربروسا في الوصول إلى مدينة فيليوبولس والاستيلاء عليها بفضل مساعدة الأرمن، إلا أنه كتب رسالة إلى القائد البيزنطي مانويل كامتيزس شارحًا فيها ما فعله الإمبراطور إسحق انجيلوس تجاه الجيش الألماني من وضع العراقيل والعقبات في طريق الجيش الألماني، بالرغم من وجود معاهدة بين الطرفين البيزنطي والألماني. تنص على تسهيل مرور الحملة داخل الأراضي البيزنطية، وإمداده بما يحتاجون إليه من مؤن وعلوف، إلا أن الإمبراطور البيزنطي إسحق انتهك شروط هذه المعاهدة ولم يلتزم بها(٥٧).

أما عن موقف الإمبراطور البيزنطي إسحق انجيلوس من رسالة فردريك

بربروسا، فعدما علم بمضمونها نصح بعدم الرد عليها وتجاهلها. الأمر الذي جعل مانويل كامتيزس يتجاهل الرد عليها بناء على تعليمات الإمبراطور البيزنطي، واستمر في انهاك وعرقلة الجيش الألماني، في الوقت الذي كان فيه الألمان يبحثون عن المؤن والعلوف لجيادهم، إذ بالإمبراطور البيزنطي إسحق انجليوس يرسل حوالي ألف من الفرسان المهرة المسلحين، وأمرهم بالسير ليلاً ويكونوا على مقربة من مدينة فيليوبولس، وأن يتخذوا مواقع الكمائن في التلال بغرض مهاجمة قافلة الطعام الخاصة بالجيش الألماني(٥٨).

ويحكي المؤرخ نيقتاس خونياتس أن الأرمن أخبروا فردريك بربروسا بما يدبره ضده الإمبراطور البيزنطي إسحق انجيلوس، وما أن علم فردريك فتحرك بسرعة من مدينة فيليوبولس، لمهاجمة القوات البيزنطية، الأمر الذي جعل قائد القوات البيزنطية مانويل كامتيزس يتحرك بسرعة متخذًا من التلال ساترًا له، حتى لا تدركه الأبصار، في الوقت الذي كان الجيش الألماني يسير بطمأنينة متخذًا الطريق المؤدي للمعسكر البيزنطي على السهول. وهكذا لم يجد الجيش الألماني ما يعوق طريقه، وعندما علموا بأن امدادات الجيش عائدة في تلك الليلة بالذات، وأن قائد القوات البيزنطية يسارع نحو بني جلدتهم الذين ينقلون الإمدادات إلى المعسكر، وقاموا بامتطاء الخيول دون انتظار الأوامر على أمل العثور على القوات البيزنطية وهم يبحثون عن إمداداتهم(٥٩).

وقد وصف نيقتاس خونياتس المعركة التي دارت بين القوات البيزنطية والقوات الألمانية على النحو التالي :

" وصعد رجالنا وجاءت قوتان فجأة الواحدة تلو الأخرى لمقاومة الألمان، وسقطوا في فترة قصيرة وهرب الألمان بشكل مخزي بتسرع متهور، غير قادرين على تحمل إلقاء نظرة على وجوه الأعداء، وانسحب القائد البيزنطي وظل مختبئًا

حتى اليوم الثالث مسـرورًا بنجاته للمرة الثالثة من أيدي الجيش الألماني. وعاد مبتهجًا مسـرورًا، بصـفته الشـخص الذي دخل إلى الميناء بعد رحلة طويلة في البحر، فقد حاول الجيش الألماني أكثر من مرة القبض عليه وأخذه أسـيرًا، ولكنهم فشـلوا في ذلك لأن القائد البيزنطي اسـتطاع الهرب بأعجوبة. كما عادت بقية القوات البيزنطية إلى المعسـكر بدون أحصـنة وأسـلحة، وكانوا مرهقين من شـدة التعب وظل الجيش الألماني في مدينة فيليوبولس، بينما وصـلت القوات البيزنطية إلى مشـارف مدينة أركاديابولس Arcadiapolis يلتقتون أنفاسـهم مهتمين بإنقاذ أنفسهم ويعملون على توفير المؤن اللازمة لهم(٦٠).

وقد حمل نيقتاس خونياتس ما وصـل إليه البيزنطيين من ضـعف وإرهاق وهزيمة إلى الإمبراطور البيزنطي إسـحق إنجيلوس لأنه بالرغم من المعاناة التي لاقتها القوات البيزنطية أمام الجيش الألماني إلا أن إسحق لم يحاول تغيير سياسته وتقديم أي تنازلات ولذلك وصفه خونياتس بأنه يستحق الإدانة أكثر من الثناء(٦١).

وفي نفس الوقت كان الإمبراطور فردريك بربروسـا قد اتخذ من الترتيبات ما يضـمن له النجاح في كل تحركاته، فعقد اتفاقًا مع أسـاطيل كل من الجنويين والبيازنة والفنسـيني للمعاونة إما في مهاجمة القسـطنطينية أو في نقل الجيش الألماني إلى الشـاطئ الأسـيوي، كما أرسـل إلى ابنه هنري الثالث الذي خلفه في حكم ألمانيا، يطلب منه تجهيز جيش وأسـطول قويين لتأديب الإمبراطور البيزنطي إسحق بعد استئذان البابوية في ذلك(٦٢).

وعندما علم الإمبراطور البيزنطي بذلك أمر بترك المبعوثين الألمان، لكي يعودا إلي مليكهم، وعندما رآهم الإمبراطور فردريك بربروسـا، وعلم بما قام به الإمبراطور البيزنطي معهم حيث أنه منعهم من الجلوس كما أجبرهم على الوقوف أمامه بنفس طريقة وقوف العبيد، بالإضـافة إلى ذلك لم ينظر إليهم أو يلتفت لهم،

مع أن هؤلاء المبعوثين الألمان من الأساقفة وأقارب الإمبراطور فردريك بربروسا، الأمر الذي أغضبه عندما علم بهذه الإهانة، فما كان من الإمبراطور فردريك بربروسا إلا أن عامل مبعوثين الإمبراطور إسحق انجيلوس بنفس الطريقة، حيث أجلس معهم الخدام والعبيد للسخرية من الرومان، ولكي يبين لهم أنه لا ميزة لهم في الفضل ولا في العائلة، ولكنهم مثلهم مثل الرعاة يسوقون الخنازير إلى مكان قذر على حد قوله نيقتاس خونياتس(٦٣).

ثم قسم الإمبراطور فردريك بربروسا جيشه إلى قسمين لنقل المؤن والإمدادات لديه بسبب شدة مقاومة حاكم فيليوبولس نيقتاس خونياتس ودفاعه عن المدينة ثم واصل سيره وترك فردريك السوابي والأساقفة في مدينة فيليوبولس، مع عدد غير كاف من القوات الألمانية، قائلاً يجب أن تستريحوا هنا حتى تتعافوا من جراء الوقوف أمام إمبراطور الرومان، الأمر الذي يدل على ما عاناه الجيش الألماني من صعاب أمام الجيش البيزنطي، إلا أن كل ذلك لم يفت من عضد الإمبراطور فردريك بربروسا، الذي تعدى كل الصعاب وواصل زحفه دون يأس(٦٤).

أما الإمبراطور البيزنطي إسحق فقد أصيب بخيبة أمل كبيرة، عندما علم بكل هذه التطورات، إذ اتمنى عرقلة زحف الجيش الألماني حيث كان واثقًا من نجاح خططه وأهدافه، فبدأ يعيد النظر في سياسته مع فردريك بربروسا ويرسل إليه في طلب الصلح(٦٥).

والواقع أن فردريك نفسه كان يميل إلى عقد الصلح مع الإمبراطور إسحق، حتى يتسنى له الانتقال إلى آسيا الصغرى، ويوجه جهوده ضد المسلمين بدلاً من ضياعها في محاربة البيزنطيين(٦٦).

وبعد إجراء عدة مشاورات بين الإمبراطور البيزنطي والألماني، تم الاتفاق بين الجانبين في كنيسة سانت صوفيا، وبحضور بطريك القسطنطينية، وتعهد

الإمبراطور إسحق الثاني بمقتضى هذا الاتفاق بإمداد جيش الإمبراطور فردريك بربروسا بكل ما يحتاجه من المؤن والعتاد وعلف الحياد، طالما بقى الجيش الألماني داخل حدود الإمبراطورية البيزنطية، كما تعهد الإمبراطور إسحق الثاني بنقل أفراد الجيش الألماني على سفن بيزنطية من مينا غاليبولي Galliopoli إلى الشاطئ الآسيوي(٦٧).

كما تعهد الإمبراطور إسحق بتسليم بعض الرهائن من القضاة، إلا أن هؤلاء عصوا أمر الإمبراطور ورفضوا أن يكونوا رهائن الأمر الذي جعل الإمبراطور إسحق الثاني يرسل أمراء السر، كرهائن بديلاً عن هؤلاء القضاة الذين عصوا أمره، كما قام بإعطاء ممتلكاتهم ومنازلهم للمقربين له وعزلهم من مناصبهم، وعين مكانهم قضاة آخرين.

إلا أنه بعد فترة قصيرة عفا عن القضاة وأعاد إليهم ممتلكاتهم وأعادهم إلى وظائفهم(٦٨).

وبعد إقرار الصلح بين الإمبراطور الألماني والإمبراطور البيزنطي تحسنت العلاقات بينهم وتم تبادل الهدايا بين الطرفين فأرسل الإمبراطور إسحق الثاني إلى الإمبراطور فردريك بربروسا أربعمائة جنيه من الفضة، وخيطًا مصنوعًا من الذهب، ثم بادله الإمبراطور فردريك الهدايا، وتعهد للإمبراطور إسحق بأنه سوف يمر عبر الأراضي الرومانية، دون المرور بالحقول ومزارع الكروم، وأنه لن ينحرف إلى اليمن أو اليسار، حتى يعبر الحدود الرومانية(٦٩).

وبالرغم من إبرام الصلح بين الطرفين البيزنطي والألماني، إلا أن الإمبراطور فردريك بربروسا كان لا يثق في نوايا الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني من أجل ذلك عمل على نقل قواته في ممرين إلى ميناء غاليبولي المطل على بحر مرمرة، لأنه تخوف من نوايا الإمبراطور إسحق في أن يحنث بعهده ويهاجم الجيش

الألماني على الشاطئ المقابل لذلك قسم جيشه ووصل إلى الشاطئ الآسيوي خلال أربعة أيام(٧٠).

ومن الجدير بالذكر أن الإمبراطور فردريك اكتسب شهرة كبيرة لذكائه وبفضل جيشه الذي لا يُقهر، ولكن شاء القدر أن ينقذ العالم الإسلامي من خطر حملة فردريك بربروسا، فعندما وصل إلى نهر السالف Slaf بقليقيه في الحادي عشر من شهر يونيو ١١٩٠م مات عريقًا في ظروف غير متوقعة وغير مرغوب فيها أو بالأصح أحكام الله التي لا يطالها انسان على حد قول نيقتاس(٧١).

هكذا توفى الإمبراطور فردريك بربروسا دون أن يحقق هدفه وهو الوصول إلى بيت المقدس واستعادته من يد صلاح الدين الأيوبي(٧٢).

وقد وصف نيقتاس الإمبراطور فردريك بعدة صفات منها الذكاء والحنكة السياسية، والقدرة والإرادة القوية، ورغبته الصادقة في حماية القبر المقدس، وحماية اسم المسيح بروحه وحياته، حيث قال :

" وكان رجلاً يستحق أن يتمتع بذاكرة قادرة ودائمة ويحق أن يخالفه الحظ ليس فقط لأنه ولد وحكم عديدًا من الدول باعتباره وريثًا، ولكن لشوقه القوي للمسيح الذي هو أكبر من أي ملك مسيحي آخر في عصره، وبصرف النظر عن الوطن الأم، فإن الرفاهية الملكية والراحة والدوافع الدنيوية للاستمتاع بصحبة أحبائه في وطنه، وطريقته المقنعة بالحياة اختار بدلاً من ذلك أن يعاني الأذى مع مسيحي فلسطين باسم المسيح، وهكذا فضل الأرض الغريبة على أرضه، ولم يبطئ سرعته في المسافات الطويلة والطريق المؤلم والأخطار التي تشكلها الدول الغربية التي كان عليه أن يمر بها، كما لم يكن الماء الشحيح والخبز القليل، الذي عليه شراؤه

والذي تبين في بعض الأماكن ضرره، ما يمكن أن يردعه "(٧٣).

من الجدير بالذكر أن أصحاب فردريك بربروسا، ووفقًا للروايات العربية " سلقوه في خل وحملوا عظامه ليدفنوه في القدس "(٧٤).

هكذا انتهت حملة فردريك بربروسا بالفشل تلك الحملة التي أفزعت البيزنطيين والمسلمين على حدٍ سواء كما أعطى موته المفاجئ راحة مؤقتة للدولة البيزنطية(٧٥).

النتائج التي توصل إليها البحث :

أولاً : أن اشتراك الإمبراطور فردريك بربروسا في الحملة الصليبية الثالثة، كان نتيجة لدعوة البابا أنوسنت الثالث، ولاسترداد بيت المقدس من أيدي صلاح الدين الأيوبي، وهو ما أشار إليه المؤرخ نيقتاس خونياتس.

ثانيًا : اهتم الإمبراطور فردريك بربروسا بتلك الحملة اهتمامًا كبيرًا ويظهر ذلك من خلال الاستعدادات العسكرية التي قام بها والاتصال بحكام البلاد التي سيمر بها لتسهيل عملية مروره، وهو ما يعكس رغبة فردريك في استرداد بيت المقدس.

ثالثًا : أوضحت الدراسة الدور الذي قام به فردريك بربروسا في تخطي الصعاب والعراقيل التي صادفته في أراضي الإمبراطورية البيزنطية، وكذلك أراضي سلاجقة الروم، وكيف استطاع أن ينجح في ذلك ويصل إلى أرمينية الصغرى، وقد أشار إلى ذلك المؤرخ نيقتاس خونياتس.

رابعًا : ذلك الصراع الذي نشأ بين الإمبراطور فردريك بربروسا والإمبراطور إسحق انجيلوس والذي كاد أن يصل إلى الحرب بينهم، فقد أدى

بلا شك إلى فشل الحملة.

خامسًا : ما تعرضت له حملة فردريك بربروسا من نقص المؤن والعلوف اللازمة للجياد الأمر الذي أدى إلى تفشي المجاعة بين صفوف الحملة، وأضعف من قوتهم، كما عانوا من برودة الشتاء التي قضت على عدد كبير منهم.

سادسًا : الوفاة المفاجئة للإمبراطور فردريك بربروسا الأمر الذي أصاب الجيش الألماني بخيبة أمل كبيرة وانخفضت معنوياته وقد رثاه المؤرخ نيقتاس خونياتس بالعديد من الصفات الحميدة وتأسف على وفاته.

الهوامش

(١) حامد زيان : الإمبراطور فردريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة، القاهرة ١٩٧٧م، ص١٢.

وصلت جيوش الحملة الثانية إلى بلاد الشام عام ٥٤٤هـ/١١٤٧م بزعامة كل من كونراد الثالث Conrad III (١١٣٨-١١٥٢م) ملك ألمانيا، ولويس السابع Louis VII (١١٣٨-١١٨٠م) ملك فرنسا للقضاء على قوة بني زنكي واستعادة الرها إلا أنها فشلت في تحقيق هدفها. للمزيد من التفاصيل عن الحملة الصليبية الثانية، أنظر: ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة التابكية بالموصل، تحقيق: عبدالقادر أحمد طليمات، القاهرة (د.ت)، ص٢٨٨-٢٨٩؛ أبو شامة: الروضتين في تاريخ الدولتين، جزءان، دار الجيل، بيروت (د.ت)، ج١، ص١٨٤-١٩١؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ٤ أجزاء، ج٣، ترجمة: حسن حبشي، القاهرة ١٩٩٤م، ص٢٦٧-٣٢٠.

Michaud (M): Historse des croisades, vol 1, Paris 1849, p. 361-525.

(٢) من الجدير بالذكر أن الحملة الصليبية الثالثة حظيت بقيادة لم تتوافر لأي حملة أخرى فقد شارك فيها كل من الإمبراطور فردريك بربروسا، والملك فيليب أوغسطس Philis Augustus (١١٨٠-١٢٢٣م) ملك فرنسا، والملك ريتشارد قلب الأسد Richard Corer – de – Lion (١١٨٩-١١٩٩م) ملك إنجلترا عن الحملة الصليبية الثالثة. انظر: ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، الإسكندرية (د.ت)؛ العماد الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبح، القاهرة (د.ت)؛ المؤلف المجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ترجمة: حسن حبشي، جزءان، القاهرة ٢٠٠٠م؛ زينب عبدالقوي: الإنجليز والحروب الصليبية، الإسكندرية (د.ت)؛ ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب

الصليبية، ٣ أجزاء، ج٣، ترجمة: نور الدين بن خليل، (د.ت)، ص٣٦-١١٥.

(٣) إسحق انجيلوس: اعتلى عرش بيزنطة عام ١١٨٥م وظل في الحكم حتى عام ١١٩٥م، وهو من أسرة أصابت حظًا كبيرًا من الشهرة والتقدم زمن الإمبراطور مانويل كومنيوس، ولقد هتف به الجماهير ونادت به العامة إمبراطورًا في القسطنطينية، وهي نفس الجماهير التي سفكت دم الطاغية اندرونيكوس الأول عام ١١٨٥م. دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية، ترجمة: حسن حبشي، القاهرة ٢٠٠٣م، ص٧١. للمزيد من التفاصيل عن عصر إسحق انجليوس انظر: حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، الطبعة السابعة، القاهرة ٢٠٠٠م، ص٢٣٧-٢٤٧؛ محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية ١٩٩٤م، ص٣٨١-٣٨٦.

(4) acity, p. 11, Kzhdan (A. P): The oxford Diclionary of Byzantium, oxford 1991, V 1, p. 428.

(5) Ocity, pp. 9-10, 18.

(6) Ocity, pp. 10-11.

(7) Ocity, p. 12 ;

محمد زايد: مصادر تاريخ العصور الوسطى التاريخ البيزنطي، القاهرة ٢٠١٥م، ص٦١.

(٨) محمد زايد: مصادر، ص٦٢.

(9) Chaniates (N): Ocity, p. 12-14.

(١٠) السلاجقة: هم من قبائل العز التركية ينتسبون إلى زعيمهم سلجوق بن دقاق، ودقاق من قبيلة قنق الغزية، اعتنق الإسلام، وتورط في تصفية الدولة السامانية، وفي صراعات منطقة ما وراء النهر، وعمل التركمان في خراسان لحساب السلطة الغزنوية حينًا، ولحساب أنفسهم أحيانًا، حتى استطاعوا أن يتزعموا خراسان، ثم أخذوا يستعدوا للزحف على بغداد، وقد آلت زعامة السلاجقة إلى ثلاثة أخوة، هم: طغرل بك، وجغري بك، والبيعو، وتمكن طغرل بك من دخول بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م. للمزيد انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٢ جزء، ج٨، تحقيق: سمير شمسي، بيروت ٢٠٠٩م، ص ؛ سعيد عاشور: أوربا في العصور الوسطى، جزءان، القاهرة ١٩٨٦م، ج١، ص٤٣٠-٤٣١؛ زبيدة عطا: بلاد

الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيين، القاهرة (د.ت)، ص٣٨-٤٢.

(11) Ocity, p. 229.

(١٢) محمود سعيد عمران: تاريخ الحروب الصليبية، الإسكندرية ٢٠٠٧م، ص١٧ ؛

Richard (A): The crusades, New York, 1927, p. 55.

(١٣) محمود سعيد عمران: تاريخ الحروب الصليبية، ص١٤٧-١٤٨.

- أوربان الثالث: ولد في ميلان وهو من عائلة ارستقراطية وكان رئيس الشمامسة في بورج ثم ميلان ثم أصبح رئيس أساقفة ميلان عام ١١٨٥م، وانتخب بابا في اليوم الذي مات فيه البابا لوكيوس الثالث ١١٨٥م، ودخل في نزاع مع الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا وازداد النزاع بين الطرفين عندما تزوج هنري السادس بن فردريك بربروسا من كونستانس ورثية مملكة صقلية عام ١١٨٦م الأمر الذي أدى إلى فقدان البابوية دعم النورمان الذين كانت تعتمد عليهم في نزاعها مع الإمبراطورية، وظل هذا الصراع إلى أن توفى أوربان الثالث ١١٨٧م. انظر:

Kelly : The Oxford Dictionary of Popes Oxford 1998, p. 181-182 ;

عبدالسلام محمد زيدان: الدعوة للحروب الصليبية على بلاد الشام ١٠٩٥-١١٨٩م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب، جامعة حلب بسوريه، ٢٠٠٤م، ص١٩٦، هامش ٢.

- جريجوري الثامن : هو البرت دي مور Alberto de Morral ولد عام ١١١٠م وهو من عائلة نبيلة، تربى تربية جيدة، وأصبح راهبًا في عمر مبكر عين كاردنيًا لكنيسة لورنز، ثم عينه البابا الكسندر الثالث ممثلاً بابويًا في إنجلترا والبرتغال، وشغل وظيفة مدير للقضاء في الكنيسة الرومانية عرف بتقواه وورعه وثقافته وحبه للعمل، اختاره الكاردينالات بابًا بالإجماع في عام ١١٨٧م، ودعى لحملة صليبية جديدة لاسترداد بيت المقدس من صلاح الدين الأيوبي، إلا أنه مات بالحمى قبل الإعداد للحملة، انظر :

Kelly : Oxford Dicilionary, P. 182-183.

عبدالسلام محمد: الدعوة للحروب الصليبية، ص٢٠٦، هامش ٥.

(١٤) محمد مرسي الشيخ: عصر الحروب الصليبية، ص٣٨٠.

(١٥) كونراد مونتفرات: هو ابن المركيز مونتفرات أغنى أمراء شمال إيطاليا، وشقيق وليم مونتفرات الذي كان زوج الأميرة سيبيلا ووريثة بيت المقدس، ويتصل بصلة القرابة بالأمبراطور الألماني فردريك بربروسا، وهرب من القسطنطينية التي كان مقيمًا فيها واتجه إلى عكا عام ١١٨٧م بسبب اتهامه في جريمة قتل، وعندما وصل إلى عكا وجدها بيد المسلمين لذلك توجه إلى صور، ورحب الصليبيون به وعقدو العزم من أجل قيادتهم، وبذلك تزعم الصليبيين في صور ضد المسلمين. انظر: أرنست باركر: الحروب

الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، بيروت ١٩٦٧م، ص٨٦ ؛

Parkes (J): A history of Palestine from C 35 A.D. to modrn Times, London 1949, p. 130.

(١٦) حامد زيام: الإمبراطور فردريك بربروسا، ص١٩.

(١٧) حامد زيان: الإمبراطور فردريك بربروسا، ص١٩.

Painter (S): A hist of The Middleages, New York 1954, pp. 280-281.

(18)Ocity, p. 229.

(١٩) محمد مرسي الشيخ: عصر الحروب الصليبية، الإسكندرية ٢٠٠٧من ص٣٨٠ ؛

Stevensin (W): The Crusaders in the East. Com. 1907, p. 207; Lanpoolle Stanley Sakadin and The Fall of The Kingdonaf, New York 1898, p. 114.

(٢٠) مرسي الشيخ: عصر الحروب الصليبية، ص٣٨١.

(٢١) أبو شامة: الروضتين عن أخبار الدولتين، ج٤، ص٢٢٢؛ العماد الأصفهاني: الفتح القس، ص٣٩٧؛ ابن شداد: النوادر، ص٩٤.

(٢٢) مرسي الشيخ: عصر الحروب الصليبية ص٣٨١.

(23) Ocity, p. 221.

(٢٤) محمود سعيد عمران: الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، بيروت ٢٠٠٢م، ص٢٨٩.

(٢٥) نبيه عاقل: الإمبراطورية البيزنطية، دمشق ١٩٦٩م، ص٣٠٤.

(26) chaniates: Ocity, p. 2012-213 , 215.

محمود سعيد عمران: الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٨٩.

(٢٧) عمر كمال توفيق: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية ١٩٦٧م، ص١٥٤.

(٢٨) محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية ١٩٩٤م، ص٣٨١.

(٢٩) جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطية، ٢٠٠٥م، ص٢٤٥؛ مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية،ص٣٨١.

(٣٠) مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية، ص٣٨١.

(٣١) حسنين ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٤٢.

(32) Ocity, p. 198-201.

(٣٣) محمود سعيد عمران: الإمبراطورية، ص٢٨٩-٢٩٠.

من الجدير بالذكر أن المؤرخ البيزنطي خونياتس لم يشر إلى الاتفاق الذي تم بين صلاح الدين وإسحق الثاني، ويبدوا أنه تجاهل ذلك حتى لا يظهر الإمبراطور إسحق بأنه خان القضية الصليبية وكان سبب

في فشل الحملة الصليبية الثالثة.

(٣٤) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص٦٦٥.

(٣٥) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص١١٠؛ أبو شامة: الروضتين، ج٤، ص١٥٠.

(٣٦) الأصفهاني: الفتح القسي، ص٤١٤؛ أبو شامة: الروضتين، ج٤، ص١٥٠.

من الجدير بالذكر أنه تم إرسال الخطيب والمنبر وجمعًا من المؤذنين والقراء، وكان يوم دخولهم إلى القسطنطينية يومًا عظيمًا من أيام الإسلام، شاهده كثير من التجار.

ابن شداد: النوادر السلطانية، ص١١١؛ أبو شامة: الروضتين، ج٤، ص١٥٠.

(٣٧) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص٦٦٥.

(٣٨) حامد زيان: الإمبراطور فردريك بربروسا، ص٣٦-٣٧.

(٣٩) الأصفهاني: الفتح القسي، ص٤١٤؛ أبو شامة: الروضتين، ج٤، ص١٤٩.

(٤٠) ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٤٤؛ محمود سعيد عمران: تاريخ الحروب الصليبية، ص١٤٨.

(٤١) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، جزءان، ج٢، الطبعة الرابعة ١٩٩٧م، ص٢٦٥؛ ستفين رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٤٦.

(٤٢) حامد زيان: الإمبراطور فردريك بربروسا، ص٢٨؛ تاريخ الحروب الصليبية، د.ت، ص١٤٠.

Ostrogorsky (G): Hist of The Byzantine State, Philadee Phis, 1957, p. 342.

(٤٣) حامد زيان: الإمبراطور فردريك بربروسا، ص٢٩؛ تاريخ الحروب الصليبية، ص١٤٠-١٤٠.

Painter (S): Ahist of The middleages, New York 1954, p. 281.

من الجدير بالذكر أن النورمان كانوا أعداء الإمبراطورية البيزنطية التقليديين منذ زمن بعيد خاصة وأن وليم الثاني ملك صقلية بعد أن استولى على سالونيك عام ١١٨٥م، تقدم جيش وأسطول النورمان نحو القسطنطينية، وفرح النورمان بما حققوه من انتصارات، فنهبوا الأقاليم المجاورة للعاصمة البيزنطية دون أن يعملوا حساب للجيش البيزنطي، إلا أن الجيش البيزنطي استطاع هزيمة النورمان وأرغموهم على إخلاء سالونيك ودورازو، وانسحب الأسطول النورماني من أمام القسطنطينية، وتم عقد معاهدة صلح

بين إسحق انجيلوس ووليم الثاني. حسنين ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٤٢.

(٤٤) ميخائيل زابوروووف: الصليبيون في الشرق، موسكو ١٩٨٦م، ص٢٠٢.

(45) Ocity, p. 221.

(46)Ocity, p 221.

(٤٧) حامد زيان: الإمبراطور فردريك بربروسا، ص٢٧.

(48) Chaniates (N): Ocity, p. 221.

(49) Chaniates (N): Ocity, p. 221, 223.

حامد زيان: الإمبراطور فردريرك بربروسا، ص٣١.

(50)Ocity, p. 222.

(51) Chaniates (N): Ocity., p. 222.

(52) Chaniates (N): Ocity., p. 222.

حامد زيان: الإمبراطور فردريرك بربروسا، ص٣١.

(٥٣) فايز نجيب إسكندر: متى الرهاوي والحملة الصليبية الأولى (١٠٩٥-١٠٩٩م/٤٨٨-٤٩٢هـ)، بحث منشور بكتاب تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، د.ت، ص٢٠.

(٥٤) فايز نجيب إسكندر: متى الرهاوي، ص٢٧.

(55) chaniates : Ocity, p. 222.

(٥٦) فايز نجيب إسكندر: متى الرهاوي، ص٢٨.

(57) Chaniates (N): Ocity., p. 222.

(58) Chaniates (N): Ocity., p. 224.

(59) Chaniates (N): Ocity., p. 224.

(60) Ocity., p. 225.

(61) Ocity., p. 225.

(٦٢) حامد زيان: الإمبراطور فردريك بربروسا، ص٢٣؛ ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ص٤٦.

- لعبت المدن الإيطالية دور كبير في الحملات الصليبية بصفة عامة والحملة الصليبية الثالثة بصفة خاصة، فقد تعهدت بنقل الجيوش الصليبية إلى الشرق بحرًا بأساطيلها مقابل الحصول على العديد من الامتيازات في البلاد التي يتم فتحها في الشرق. للمزيد من التفاصيل، انظر: منال محمد: القوة البحرية في شرق حوض البحر المتوسط زمن الحروب الصليبية حتى أواخر القرن الثالث عشر

الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة ٢٠٠٠؛ عفاف سيد صبرة: العلاقات بين الشرق والغرب، علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة من ١١٠٠-١٤٠٠م، القاهرة

١٩٨٣م؛ عادل زيتون: العلاقات بين الشرق والغرب، طبعة أولى، مشق ١٩٨٠.

(63) Ocity., p. 221.

(64) Chaniates (N): Ocity., p. 226.

(٦٥) حامد زيان: الإمبراطور فردريك بربروسا، ص٣٣؛ حسنين ربيع: دراسات، ص٢٤٥.

(٦٦) حامد زيان: تاريخ الحروب الصليبية، ص١٤٤.

(67) Chaniates (N): Ocity., p. 226.

(68) Chaniates (N): Ocity., p. 226.

(69) Chaniates (N): Ocity., p. 226.

(70) Chaniates (N): Ocity., p. 226.

(71) Ocity., p. 228.

(٧٢) حامد زيان: الإمبراطور فردريك بربروسا، ص٥٩.

(73) Ocity., p. 229.

(٧٤)أبو شامة: الروضتين، ج٤، ص١٣٠؛ سبط ابن الجوزي: مرأة الزمان، ج٨، ق١، ص٤٠٣؛ ابن شداد: النوادر السلطانية، ص١٠٢.

(٧٥) حسنين ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٤٥.